الفصل السادس

الأصوات اللغوية

قلنا : ان اللغة فى ذاتها عبارة عن أصوات ذات دلالة . وعلم الاصوات يدرس على مستويين : علم الأصوات العام : (Generalphonetics) وعلم الاصوات فى سياقها ، أو علم الأصوات التشكيلى أو التنظيمى (Phonology)

ويتفرع علم الأصوات الى :

وصفى (Descriptive) لدراسة اية لغة صوتية لفترة زمنية معينة .

والى تاريخى : (Historical) اذا طالت الفترة الزمنية .

والى : مقارن (Compartive) ، حين مقارنة لغتين أو أكثر على وجه المقارنة .

وتسير دراسة الأصوات على مرحلتين :

مرحلة تختص بالمادة ذاتها : (Material) ، وهى التى تسمى (Phonatics) . وتعنى بدراسة أعضاء النطق ابتداء من الشفتين والتجاويف الأنفية والفمية والحنجرة والاحبال الصوتية ، والرئتين دراسة تشريحية لمعرفة وظيفة كل جزء فى احداث وتكوين الصوت .

ومرحلة تختص بتجريد هذه المادة ، والانتهاء بها الى صورة قواعد عامة ، وتسمى هذه المرحلة (Phonology) ، وتعنى بدراسة الصوت فى سياقه ، والنظم الصوتية للغة معينة ، وكما ينطقها أصحابها فى ممارستهم اليومية (١) .

---

(١) مذكرة فى الأصوات اللغوية . د . بشر ص ٢٢

ومباحث علم الاصوات فى جملتها شديدة التداخل ، يعسر احيانا فصلها ، ولذا يدرجها بعض العلماء كلها مع بعضها .

والاصوات جزء من اللغة ، وعلم اللغة محكوم بقوانين تتصل بعلوم مختلفة تتحكم وتؤثر فيه ولابد من دراستها ، والاستعانة بها فيما يخص الجانب اللغوى عند دراسته ، مثل علم الصوت (Accovstic) ، وعلم التشريح (Anatome) وعلم وظائف الاعضاء : (Ahyslology) ، وعلم مبادىء النفس (Psychcology) ، ومبادىء علم الاجتماع (Sociology).

« والكلام يتكون من اصوات ثابتة هى المصوتات : (الحركات) ، التى ينفصل بعضها عن بعض بوساطة (فونيمات) ، تقترب عامة من نموذج الضوضاء . وهى عادة تتميز بحركة اغلاق لأحد أعضاء النطق ، تتفاوت اداء ، وتعقبها حركة فتح لهذه الأعضاء .

هذه الحركات النطقية هى التى يطلق عليها الصوامت ، ومن مجموع الصوت مع حركة الفتح فى بدئه ، وحركة الاغلاق التى تنهيه ، يتكون المقطع ، الذى تتنوع بنيته من لغة لأخرى .

وهكذا نجد أن الكلام فى كل اللغات ينقسم الى مجموعات أولية قصيرة ، مشتملة على مجموعة من الأصوات التى ينفصل بعضها عن بعض بوساطة الحركات النطقية المتفاوته الطول » (١) .

ويشيد العلماء المحدثون بعلم وظائف الأعضاء (او علم التشكيل الصوتى ، كما يسميه الدكتور تمام حسان) (٢) ، ويفرعون هذا العلم على الأصوات اللغوية ، ويفرقون بين العلمين : بأن علم الأصوات اللغوية يدرس الأصوات اللغوية ، وكأنها مجرد حوادث فيزيائية ، لا علاقة لها باللغة التى هى أحد عناصرها ، فيهتم بمخارجها وصفاتها ومقادير شدتها ، وعدد ذبذباتها واطوالها .. الخ .

بينما يهتم علم وظائف الأصوات ، أو التشكيل الصوتى بوظيفة كل صوت فى اللغة فيتساءل عن كثرة ورود هذا الصوت او قلته فى هذه اللغة ، وعن امكان وقوعه فى هذا المقطع او ذاك ، وعن قبول مجاورته لذاك الصوت

---

(١) فى التطور اللغوى ص ٢٠

(٢) مناهج البحث فى اللغة . د . تمام حسان ص ١١١

ثم لا .. الى آخر ما هنالك من المباحث التى ترمى الى وضع القواعد الصوتية ، التى تجرى عليها الأصوات فى لغة ما من غير الحاح على الطبيعة الفيزيائية للاصوات .

والطريف أن العرب الأقدمين عرفوا من مباحث هذا العلم الحديث (علم وظائف الأعضاء) .

فقولهم عن النون والراء انهما لا تجتمعان فى صدر كلمة عربية ... وملاحظاتهم الكثيرة لما يستحسن من تراكيب الحروف وما يستقبح ... كل ذلك من لب المباحث (الفونولوجية) (١) .

ويتكون الجهاز الصوتى فى الانسان من :

١ ــ الرئتين ، لاستغلال الهواء الخارج منهما .

٢ ــ القصبة الهوائية التى تصل ما بين الرئتين والحنجرة .

٣ ــ والحنجرة ، وهى كحجرة غضروفية ، وبروزها الامامى يسمى بتفاحة آدم .

٤ ــ الوتران الصوتيان ، ويمتدان افقيا فى الحنجرة وبينهما فراغ يسمى بالمزمار ، وفوق زائدة لحمية تسمى : لسان المزمار ، تحمى طريق التنفس اثناء البلع ومرور الطعام فى المرىء ولا يهتز الوتران اذا كانا متباعدين ، ويهزهما الهواء اذا كانا متقاربين ويحدثان الصوت : ثم تقوم تجاويف الحنجرة والحلق والفم بتضخيم الصوت على نحو ما تصنع الآلات الموسيقية .

٥ ــ الحلق : وهو الجزء الذى بين الحنجرة والفم،وهو يضخم الصوت .

٦ ــ اللسان وهو عضلة شديدة المرونة ، وأهم جزء فى الجهاز النصوتى ، وبه تتنوع وتتمايز الأصوات .

٧ ــ الحنك الأعلى . ويسمى بسقف الفم ، والجزء الأمامى منه صلب يدعى الغار ، والجزء الخلفى منه رخو يدعى الطبق .

٨ ــ اللهاة : وهى الزائدة اللحمية فى آخر الحنك الأعلى الرخو .

٩ ــ الأسنان : العلوية والسفلية فى الفم .

١٠ ــ أصول الأسنان ، وهى اللثة .

---

(١) الوجيز ص ١٣٩

١١ ــ الفراغ الأنفى ، الذى يندفع خلاله النفس أثناء انغــلاق طريق الفـــم .

١٢ ــ الشفتان : وهما عضلتان مستديرتان ينتهى بهما الفم .

وقد مر بنا من قبل طريقة احداث الصوت اللغوى .

● وعلم الأصوات المجردة (الفوناتيك) يتناول هذا الجانب بالدراسة التشريحية ودراسة وظائفها ، المباشرة وغيرها فى انتاج الأصوات . كمــا يتناول دراسة الصوت ومكوناته وعناصره الاساسية ، من حيث عـــدد الذبذبات وطبيعتها ، وتكونها فى موجات هوائية .. كما يدرس صفــات الصوت من جهر وهمس وانفجار واحتكاك ، وانطلاق وانتقال ... وعرف علماؤنا العرب القدامى ذلك فى علم التجويد ، الذى حافظ على نطـــق القرآن الكريم كما أنزل ، ووضحوا مخارج الحروف وصفاتها وكيف أن حروف الاظهار الحلقى هى : (همز ، هـ ، ع ، غ ، ح ، خ) . وحروف الادغــام هى ، (ى ، ن ، م ، و) بعد النون الساكنة والتنوين .

وحروف الأخفاء هى : (ص ، ذ ، ث ، ك ، ج ، ش ، ق ، س ، د ، ط ، ز ، ف ، ت ، ض ، ظ) بعد النون الساكنة أو التنوين .

وبهذا العلم ، وبجهود علمائنا القدامى ، مثل سيبويه ، وابن جنى ، وغيرهما فى علم الأصوات الذى بهر الغرب ، واستفادوا منهم ابان نهضتهم، وعجبوا أن يصدر مثل هذه الدقة عن علماء عرب .

وبذلك عرف العلماء تصنيف أصوات العربية ــ مثلا ــ بحسب طرق النطق ــ على رأى ــ فيما يلى :

١ ــ فيها خمسة عشر صوتا مجهورا ، هى :

(ب ، م ، و ، ض ، د ، ظ ، ذ ، ز ، ع ، غ ، ج ، ل ، ر ، ن ، ى) .

٢ ــ وثلاثة عشر صوتا مهموسا ، هى : (ط ، ت ، ك ، ق ، همزة ، ف ، ث ، س ، ش ، خ ، ح ، هـ ، ص) .

٣ ــ واربعة اصوات مطبقة ، هى : (ص ، ض ، ط ، ظ) .

٤ ــ واربع وعشرون صوتا غير مطبق ، هى : ماعدا المطبقة .

(والمجهود ما هز الوتران الصوتيان ، والمهموس بخلافه . والمطبق ما يرفع به اللسان الى أعلى الحنك ، حتى يصير كالطبق له ، وغير المطبق بخلافه) .

وفى ايجاز نذكر طرفا عن هذا العلم :

الذبذبة الصـــوتية :

هى حركة الجسم فى اتجاه معين ، حتى تصل الى مكان معين .

والموجـــة الصـــوتية :

هى مجموع الذبذبات الصوتية الناجمة عن تأثير احداهما فى الأخرى . وتكون بسيطة اذا كان الجســـم المحدث للصـــوت نقيا ومتماثلا . أما اذا تفاوتت فى ذلك فهى مركبة .

(أ) ومن الأصوات مالا يؤثر فى الأوتار الصوتية بالاهتزاز ، فتكون غير حنجرية لأنها تصحب الهواء الخارج من الرئتين ، فتمر بالقصبة الهوائية والحنجرة دون تأثير فى أوتارها ، ثم تمر بباقى الاعضاء ، وهى الحلق واللسان والشفتان ، وقد يحدث أن يحتجز الهـــواء احتجازا تاما عند النطق بأحد الحروف (كالتاء) ، فمع أنها لا تهز الأوتار الصوتية الا أنها تحجز الهواء عند اتصال عضوى النطق ، وهما : طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ـــ وتعرف هذه الاصوات بالشديدة المهموسة .

(ب) أما الأصوات الحنجرية : فهى التى تؤثـــر فى الأوتار الصـــوتية بالاهتزاز والتذبذب وذلك مثل (الباء) ، التى تهز الأوتار الصوتية واذا وصلت الى الشفتين جعلتهمـــا ينطقان انطباقا تاما يحول دون مرور الهواء ، ولذا يقال لهذا النوع من الاصوات الحنجرية الانحباسية . وهناك لون آخر يقال له : الاصـــوات الحنجرية الانطلاقية لهز الأوتار الصوتية ـــ مع مرور الهواء الى الخـــارج بلا حائل يحبسه ، وذلك مثل : أصوات اللين القصيرة ـــ الحركات الثلاث ـــ أو الطويلة ، وهى حروف المد ، (أ ، و ، ى) أو حروف اللين كما ما يطلق عليها المحدثون (١) .

---

(١) التجويد والأصوات . د . نجا ص ١٨ ـــ ٢٦ بتصرف .

والأصـــوات تختلف :

فاذا تحرك الوتران الصوتيان حال مرور الهواء ، كان الحرف مجهورا، لهزة الأوتار الصوتية ، والا فهو مهموس .

والصوت الطليق ، هو الذى يجرى معه النفس طليقا لا يعترض طريقه عقبة حتى يخرج من الفم .

والصوت الحبيس : هو الصوت الذى يحدث معه انسداد جزئى او كلى فى نقطة من نقاط القناة الصوتية .

والأستاذ الأنطاكى ، هو صاحب التسمية : (بالطليقة والحبيسة) ، ويراها أفضل من تسمية الدكتور تمام حسان (بالصحاح والعلل) ، لان هذه تسمية تليق بالصرف . كما يراها افضل من تسمية الدكتور محمود السعران (بالصوامت والصوائت) لأن فيها تناقضا ، اذ كيف يسمى الصوت صامتا ؟ وكذلك اعترض على من سماها (بالسواكن والحركات) ، أو (الســـواكن واصوات اللين) ، للالتباس بين الساكن الذى لا تتلوه حركة ، والساكن الحبيس (Consonnes) (١)

● اما علم الصوت التشكيلى او الفونولوجيا : فيدرس الصوت فى سياقه وفى لغته المعنية ، وطريقة نطق أصحابه له فى نطقهم الطبيعى للغتهم . وكذلك معرفة مدى تأثره بما يجاوره من اصوات ، حتى تتضح صورة (الفونيم) اى : الوحدة الصوتية التى تتشكل باختلاف المواقع المؤثرة فيها . ويتضح المقطع الصوتى ، فنعرف الطريقة ، التى ركبت منها الكلمات ، فى تلك اللغة وكذلك اجزاء التفعيلات العروضية ..

والمقطـــع الصـــوتى :

هو تقسيم بسيط للحدث اللغوى ، أو هو الدفعة الهوائية التى تضم وحدة صوتية بسيطة ، يمكن تجزئتها الى اقل منها ، لبساطتها .

وتختلف المقاطع الصوتية باختلاف اللغات :

فمن الخصائص البنيوية التى يجب أن تتوفر للمقطع العربى :

١ ــ يجب أن يبدأ بصامت ، أو طليق كما يسميه الأستاذ الأنطاكى .

---

(١) الوجيز ص ١٤٦

٢ — وأن يثنى بحركة .

٣ — وتختلف المقاطع فى العنصر الثالث ، الذى لا وجود له فى المقطع الأول ، وهو حركة فى الثانى وصامت فى الثالث .

ومقتضى ذلك : أن الكلمة العربية لا تحتمل فى أولها صامتين ، وان كانت تحتملهما فى وسطها ، فى مثل : « يكتب » حيث تتجاور الكاف والتاء ، والكاف نهاية المقطع الأول والتاء بداية المقطع الثانى (١) .

كما أن الكلمة العربية لا تقبل تجاور ثلاثة صوامت ، بله اربعة فاذا اجتمعت ثلاثة وسط الكلام ، وجب تحريك احدهما ، ليرتد النسيج النطقى الى الاصل المقبول وهو ما يسميه النحاة : (التحريك للتخلص من التقاء الساكنين) ، أى التحرك للتخلص من تجاور ثلاثة صوامت .

على حين أن الانجليزية — مثلا — تقبل البدء بحركة ، مثل :

(important) ، بمعنى مهم . كما يمكن للانجليزية ايضا — أن تبدأ بصوامت ، دون حركة تفصل بينها ، مثل : (Street) بمعنى شارع ، ففيها : (St) تعقبها الراء المتحركة بحركة : (ee)

ولذلك تستعين العربية بهمزة الوصل ، للتوصل بها وبحركتها الى النطق بصامتين ، حين تبدأ الكلمة بهما ، مثل ، الامر : من كتب يكتب . فتسهيلا للامر اجتلبنا همزة الوصل ، ليكون البدء بمتحرك أى (بصامت + حركة) .

المقاطع اللغوية :

ينفتح الفم اثناء الكلام وينغلق ، ولا يمكن أن يكون الكلام كله من أصوات طليقة فقط ، ولا من أصوات حبيسة فقط . ولذا حلل اللغويون الكلام الى وحدات صوتية ، أكبر من وحدات الأصوات المفردة ودعوها المقاطع .

فالمقطع اللغوى هو : مجموعة من الأصوات المفردة ، تتألف من صوت طليق واحد معه صوت حبيس واحد أو اكثر .

---

(١) راجع : الأصوات اللغوية . د . انيس ، ومناهج البحث فى اللغة ص ٥٩ وما بعدها . وفى علم اللغة العام ص ١٠٨ ، والتجويد والأصوات د . نجا ، ص ٢٧

ففى كلمة (قال) مقطع واحد ، يتألف من صوت طليق واحد هـو : الفتحة الطويلة (الالف) ، وعلى جانبيه حبيسـان اثنان ، هما : القـاف و اللام . وفى كلمة (هاتى) مقطعان : أولهما : (ها) الذى يتألف من الفتحة الطويلة (الالف) ومعها الهاء ، و الثانى (تى) الذى يتألف من الكسرة الطويلة (الياء) ومعها التاء . أما الكلمة (ضرب) فتتألف من ثلاثة مقاطع ، كل منها مؤلف من فتحة قصيرة ، مع حبيس واحد ، وهى على الترتيب : (ض . ر . ب)

وتنقسم المقاطع من حيث موضع الطليق (الصامت) أو من حيث الطول والقصر الى ثلاثة اقسام لكل منهما :

فمن حيث موضع الطليق تنقسم المقاطع الى :

١ ـ مفتوح : وهو المقطع الذى ينتهى بالطليق ، مثل : ب ، ب ، ب ، با ، بى ، بو .

٢ ـ مغلق : وهو ما انتهى بالحبيس ، مثل باب : عيد ، عود .

٣ ـ مضاعف الاغلاق : وهو ماتلا الطليق فيه حبيسان ، مثل : بحر ، قرد ، قفـل .

وتنقسم من حيث الطول والقصر الى ثلاثة اقسام ايضا :

١ ـ قصير : وهو ما تألف من طليق قصير مع حبيس واحد ، مثل : ب . و . ف .

٢ ـ متوسط : وهو ما تألف من طليق طويل مع حبيس واحد ، مثل : يا . فو . فى .

٣ ـ طويل : وهو ما تألف من طليق طويل مع حبيسين أو أكثر ، مثل : باب ، كيس ، عود .

أو من طليق قصير مع ثلاثة حبيسات ، مثل : بدر . قرب . هند .

وينقسم المقطع فى العربية الى خمسة أشكال :

١ ـ حبيس + طليق قصير = (قصير مفتوح) .

٢ ـ حبيس + طليق طويل = با (متوسط مفتوح)

٣ ـ حبيس + طليق قصير + حبيس = من (متوسط مغلق)

٤ ـ حبيس + طليق طويل + حبيس = باب (طويل مغلق) .

٥ — حبيس + طليق قصير + حبيس + حبيس = بحر (طويل مضاعف الاغلاق)

ويرى أن الأشكال الثلاثة الأولى شائعة فى العربية . أما الرابع فقليل ، ويرى غالبا فى نهايات الكلمات ، ووجوده فى حشوها نادر جدا ، مثل :

« **مدهامتان** » (هام) ، « **والضالين** » (ضال) . أما الشكل الخامس فلا يرى الا فى نهايات الكلمات ، عند الوقف عليها بالسكون (١) .

وبعض العلماء يعطى أقسام المقاطع فى العربية اصطلاحات أخرى ، والخلاف لفظى ، لا أثر له :

فالمقطع الأول : مفتوح ، ويتكون من : ساكن + لين قصير . أو ساكن + لين طويل .

والثانى : مقفول ، ويتكون من : ساكن + لين قصير + ساكن .

والثالث : مفتوح مغلق ، ويتكون من :

(أ) ساكن + لين طويل + ساكن . كالمقطع الاخير فى الرحيم ، حين الوقف عليها ، أو وقع بعد حرف لين حرف مدغم فى مثله ، **كالحاقة ، والصافات .**

(ب) ساكن + لين قصير + ساكنان . ويتحقق فى حال الوقف على كلمة منتهية بحرف مشدد ، حين الوقف . مثل : « **أين المفر** » ، « **الى ربك يومئذ المستقر** » (٢) .

وبعضهم يقسم المقاطع الى :

١ — مقطع قصير ، ويتكون من صامت + حركة قصيرة .

٢ — مقطع طويل مفتوح ويتكون من صامت + حركة طويلة .

٣ — مقطع مقفل ، ويتكون من : صامت + حركة قصيرة + صامت .

ويتفق الجميع على أن هذه المقاطع الثلاثة تكثر فى الكلام العربى المتصل، وتنحل الصيغ اليها كلها أو بعضها .

---

(١) اللغة ، لفندريس ص ٨٤ ، والوجيز ص ٢٣٨ — ٢٤٢

(٢) التجويد والأصوات . د . نجا ، ص ٢٧ — ٢٩

أما الصورتان الأخريان ، فهما :

٤ ـ مقطع مديد مقفل بصامت ، ويتكون من : صـــامت + حركة طويلة + صامت .

٥ ـ أو مقطع مديد مقفل بصامتين ، ويتكون من :

صامت + حركة قصيرة + صامتين (١) .

وهاتان الصورتان تردان فى النطق فى حالة الوقف غالبا .

على كل عرف العلماء بذلك أن لكل لغة نظاما خاصا فى تأليف الفاظها ونسجها .

وأن هذا المزج للأصوات ـ كما يسميه ابن جنى (٢) ـ يسمى بالنسيج الصوتى وأن ما تقبله لغة من هذا النسيج الصوتى وتكثر منه ، قد ترفضه لغة اخـــرى ، أو يندر وجودها فيه .

وأن معرفة مقاطع لغة معينة تعين على معرفة أصلها وأثيلها ، وما هو اجنبى عنها أو دخيل ، أو مولد فيها .

وأن اللغة تقبل ما يلائم ويواكب خصائصها وطبيعتها ، وترفض ما عدا ذلك .

وأن الكلمة فى اللغة العربية يمكن أن تتكون من : مقطع واحد ، حتى سبعة مقاطع ، نمثل لها فيما يلى :

من مقطع واحد ، مثل : ب ، ذا . ومثل : (ق) فعل أمر من وقى . ومثل : يد ومثل : باب ـ ومثل : عمر . وقد تمثلت فى هذا المقطع الأنواع الخمسة من المقاطع كما ترى .

من مقطعين ، مثل : قالوا (قا ـ لو) .

من ثلاثة : مثل : كتب (ك ـ ت ـ ب) .

من أربعة ، مثل : شجرة (ش . ج . رتن) .

---

(١) فى علم اللغة العام ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) سر الصناعة ، لابن جنى ١/٧٧

من خمسة : مثل : شجرتك (ش . ج . ر . ت . ك) ،

من ستة ، مثل : شجرتكما (ش . ج . ر . ت . ك . ما) .

من سبعة ، مثل : فسيكفيكهمو (ف . س . يك . في . ك . هـ . مو)[٢]

ومثل : انلزمكموها (ا . نل . ز . م . ك . مو . ها) .

ومعنى ذلك ان العربية لا تقبل ان يكون فى نسجها :

١ ــ كلمة مؤلفة من ثمانية مقاطع او اكثر .

٢ ــ كلمة فى صدرها او حشوها مقطع من النوع الخامس .

٣ ــ كلمة مجردة من اللواحق مؤلفة من اربعة مقاطع من النوع الأول ، اللهم الا اذا دخلها بعض الضمائر ، مثل (شجرتك) .

٤ ــ كلمة مجردة من اللواحق ، مؤلفة من ثلاثة مقاطع من النوع الثانى . وان وجدت هذه الكلمة فهى قطعا اعجمية ، مثل (قاديشا ــ عامودا) . اما اذا كانت العربية ذات لواحق فلا مانع من ان تأتى ثلاثة مقاطع من هذا النوع ، مثل : « باعوها »

٥ ــ كلمة مؤلفة من مقطعين ، أولهما من النوع الثانى ، وثانيهما من النوع الخامس . وان وجدت فهى اعجمية ، مثل (جومرت) ، بمعنى كيس فى لهجة حلب ، مثل ابن (تومرت) .

٦ ــ كلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع : أولها من النوع الثالث ، والثانى والثالث من النوع الثانى . فان وجدت كلمة من هذا النسيج فهى اعجمية ، مثل : (سرغايا) ، ومعناها : عالم القرية فى سورية ، واللفظ سريانى . الا ان بعض الكلمات فى العربية تعد من هذا القبيل ، اذا وقف عليها بالالف بدل التنوين المنصوب ، مثل : (قنطارا) .

٧ ــ كلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع : أولها من النوع الثانى ، والثانى والثالث من النوع الثالث . وان وجدت كلمة من هذا النسيج فهى اعجمية ، مثل : (شابندر) اى نقيب التجارة فى الفارسية .

---

(١) الوجيز ص ٢٤٣

قياس الصوت اللغـــوى :

عنى علماء الأصوات بقياس مدة الصوت اللغوى وطوله ، ومعرفة الزمن الذى يستغرقه نطق صوت من الأصوات ، مقدرا بجزء من الثانية . وبذلك يقتدى الخلف بالسلف فى معرفة مدة الصوت ونطقه نطقا صحيحا ، كما أنه يعين على تعلم اللغة على أصـــول سليمة .

ووجد علماء الأصوات أن الحروف الأنفية مثل (النون ، والميم) تستغرق فى النطق زمنا أطول من نطق حرف اللام أو الراء . وأن الحروف الطليقة الطويلة (الالف ، والواو ، والياء) ، تأخذ ـــ أيضا ـــ زمنا أطول من أنصاف الحروف (الفتحة والضمة والكسرة) .

ومن هنا قدر العلماء أن الـــدال المتطرفة فى الانجليزيـــة ـــ مثلا ـــ تستغرق فى النطق حوالى ٠٫٠٥ من الثانية . بينما صوت (A) يستغرق فى نطقه حوالى ٠٫٤٣ من الثانية .

وقد يكون الصوت طويلا بطبيعته ، كما اذا كان طليقا ، فيعد طولا طبيعيا كنطق النون والميم ، والراء .

وقد يكتسب الصوت طولا من مجاورته لصوت آخر ، فيسمى طولا مكتسبا كنطق النون فى مثل : (دبابات) ، فالالف الأخيرة أطول من الأولى ، لوقوعها فى مقطع منبور . ومثل الألف فى (ســـماء) ، والالف الأولى فى **(مدهامتان)** ، وكذا الف (سعى) ، لوقوع الأولى قبل همزة ، والثانيـــة قبل ادغام ، والثالثة متطرفة .

ولم يخف ذلك على علمائنا القدامى ، فذكروا أنواع المـــد : اللازم والطبيعى والمتصل والمنفصل ، ولعدم توفر الآلات الحديثة لديهـــم قدروا الأطوال بقبض الاصبع أو بسطه لتقدير الحركات وقياسها ، كمـــا فى علم التجويد الذى بهر علماء الغرب بنظامه ودقته ، برغم بدائية القياس وتقدير الحركات .

* * *

---

(١) الأصوات والتجويد . د . ابراهيم نجا .

معلوم أن الصوت ناتج عن ذبذبة لجسم ما ، فى وسط ما . وكلما زاد عدد الذبذبات كلما ارتفع الصوت واحتد ، والعكس بالعكس .

ونحن ننوع فى نطق الكلام على حسب الحاجة ارتفاعا وانخفاضا لغرض نريده : فاذا قلنا مثلا : (هذا قلمك) ، أمكننا أن ننوع فى نطقها فى معرض الاستفهام أو التقرير ، أو الاجابة ، أو السخرية ...

وهذا التنوع فى النطق يسمى (بالتنغيم) الذى يحدد المعنى ويدل على الغرض المطلوب ، ويضفى على اللغة كمالها ، حين النطـــق بها مـــع ملاحظة التنغيم .

وهناك لغات لا يراعى فيها التنغيم ، لأن قواعد التنغيم فيها لم تحظ بالدراسة والضبط . ومع ذلك يحار السامع فى فهم بعض عباراتها : أتقرير هى ؟ أم استفهام ... مما يشعر بالحاجة الى وضـــع ضوابط للتنغيم .

ومن اللغات ما يخضع للتنغيم تحت قواعد صارمة ، مثل اللغة الصينية التى تعتمد على التنغيم فى تحديد معانى مفرداتها ، مثل كلمة (فان) فهى تفيد فى اللغة الصينية ستة معان لا رابط بينها ، وهى : (نـــوم . يحـــرق . شجاع . واجب . يقسم . مسحوق) ، والنغمة عند النطق هى التى تحدد كل معنى من هذه المعانى (١) .

ولو أخذنا نصا ممتازا من الشعر أو النثر ، ثم طبقنا عليه ضوابط التنغيم عند نطقه ، وفى أداء مجيد للالقاء ، لأحسست بروعة الأداء وجمال المعنى .

وحين يلقى المتكلم القول على عواهنه بدون مراعاة للتنغيم ، أو يتعلم لغة اجنبية دون ان يعرف قدر التنغيم الواجب حيالها .. يأتى القول غير جميل ، وقد يشعر بنفرة أو يحوج الى مراجعة لتبيان المراد .

وقريب من الكلام الكتابة : فكلما كان المكتوب مرقما ، وبه من الفواصل والنقط وعلامات التعجب والاســـتفهام ... كلما شعر القارىء براحـــة فى القراءة وسهولة فى الفهم ، وسرعة فى الانجاز .

---

(١) أضواء . د . خرما ، ص ٢٦٤

وهناك محاولة ذكية للدكتور تمام حسان ، فى كتابه : (مناهج البحث فى اللغة) لوضع ضوابط التنغيم فى العربية ، حبذا لو وجدت من يتمها ويوضح معالمها ، اذ هى بعض الخصائص الصوتية المهمة ، ومثلها : (النبر (Strees) وليس فى الأبجديات ما يدل عليها ، ويكشف عنها ، مع ان العرب القدامى اسهموا بقسط وافر فى دراسة الصوتيات .

* * *

النبر (STREES)

النبر : هو الوضوح السمعى لمقطع من مقاطع الكلمة اكثر من غيره . ويتحقق النبر بالنشاط الفجائى الذى يعترى اعضاء النطق ، حين التلفظ بمقطع من مقاطع الكلمة ، فيؤدى ذلك النشاط الى زيادة فى مدة المقطع ، او حدته .

فيسمى نبر مدة اذا ادى الى زيادة طول المقطع المنبور بالنسبة لما يجاوره من المقاطع .

ويدعى نبر حدة اذا ادى الى زيادة شدة المقطع المنبور بالنسبة لما يجاوره من المقاطع .

ونشاط اعضاء النطق يتحقق فى أن الحجاب الحاجز ينشط كثيرا حين النبر . كما تقوى حركات الوترين الصوتيين ، ويقترب أحدهما من الآخر ، ويحجز الذبذبات خلفهما ، ويؤدى ذلك الى زيادة حدة الصت المنطوق ، وذلك فى حالة الصوت المجهور (Voiced) .

أما مع الأصوات المهموسة (Voiceless) ، فيبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما ، اكثر من ابتعادهما فى حالة الصوت غير المنبور ، فيتسرب مقدار اكبر من الهواء ، يجعل الاحتكاك او الانفجار اقوى واوضح فى السمع .

كما يلاحظ نشاط اللسان والشفتين فى المقطع المنبور .

ومن اللغات ما يخضع نبره لقواعد صارمة لا يحيد عنها ، كالعربية مثلا ، وكالفرنسية التى تنبر أواخر الكلمات فيها دائما . بخلاف الانجليزية التى تحفظ موقع النبر لكل كلمة على حدة ، فان نبرت أولها دلت على شىء ، وان نبرت آخرها دلت على شىء آخر .

وللنبرة أثره ـ فى اللغات التى تلتزم به وتقبله ـ فى تحديد معنى الكلمة .

والعربية تخضع لقواعد صارمة فى النبر مع أنه لا يغير من معنى الكلمة فيها .

ويتمثل النبر فيها فى قراءة المجيدين من القراء للقرآن الكريم ، والعارفين بقواعد التجويد معرفة وافية . وذلك كنبر المقطع الأخير ، من كلمة « قدير » وعلم التجويد هو الذى دلنا على مواقع النبر فى العربية .

ومثل نبر الكلمات الآحادية المقطع ، مثل : كم ، قم ، لا . أو مثل نبر المقطع الثانى فى مثل : قام ، بها ، لكم ...

كما تنبر فيها الكلمة والجملة ، عند ارادة ذلك فى العربية (١) .

* * *

المورفيم (MORPHEME)

ذكرنا أن الكلام ، فكرة ، تحت مؤثر ، واختيار معان ، واطلاق أصوات فى قوالب لغوية متعارف عليها ، ويربط هذه الوحدات الصوتية روابط تفرضها قواعد اللغة وتلك الوحدات الرابطة بين وحدات المعانى ، هى التى تسمى « بالمورفيمات » .

ويختار المتكلم لأداء رسالته أصغر وحدات للصوت ، وهى ما يسميها اللغويون : (بالفونيمات) : الصوت اللغوى البسيط مأخوذة من (Phone) بمعنى الصوت المفرد البسيط فى علم اللغة ، (يؤدى الصوت اللغوى البسيط) ويركب من كل مجموعة منها الشكل المناسب للتعبير عن (المورفيمات) التى أصبحت متوفرة لديه .

ويمكن تعريف (المورفيم) بشكل عام بأنه : أصغر وحدة لغوية ذات معنى : فالمفردات المجردة ، و « أل » للتعريف ، وكل من التغييرات الصرفية التى تطرأ على المفردات : (مورفيمات) (٢) .

ففى كل عبارة لغوية ، مثل (كتب على درسه بالقلم) أربعة عناصر ، هى :

١ ـ الماهيات ، كالمعنى المأخوذ من قولنا : كتب على درسه بالقلم ، وهى هنا : الكتابة ، وعلى ، والدرس ، والقلم .

---

(١) راجع : التجويد والأصوات (النبر) د . ابراهيم نجا

(٢) أضواء . خرما ، ص ٨٢ ، والوجيز للأنطاكى

٢ — والألفاظ التى تدل على هذه الماهيات ، ويسمى كل منهـا (سـيمنتيم Semantem) او دوال الماهية (١) ، وهى هنا : عـلى ، درس ، كتب ، قلم .

٣ — والمعانى التى تربط بين الماهيات ، وتدعى : الفصائل ، او المقولات ، او الأبواب النحوية . وهى هنا : حدوث الكتابة فى الماضـى ، وصدورها عن معرف وكون الدرس مجهولا ، وأداة الكتابة : القلم .

٤ — والألفاظ التى تدل على المعانى الرابطة بين الماهيات ، وهى ما تسمى : (بالمروفيمات) ، وهى هنا : المفردات المجردة ، والضمة القصيرة على الفاعل و (ال) التعريف ، والضمير فى الدرس والباء فى القلم وللمورفيم انواع ، أهمها :

المورفيم الصوتى ، كالضمة او الحركة عموما ، وحروف العلة ، والتنوين ، ومنـه مورفيم المقطع الواحد ، مثل : ما .

والمورفيم التحريفى ، او التحويرى : اى ما يحدث التغيير فيه بدون زيادة شىء ، وانما بتغير مكان الصوت ، مثل حمار وجمعه على حمير ، أو استبدال الصوت بآخر مثل (Feet — Foot) فى الانجليزية لقـدم واقدام ، او يقوم على اطالة صوت مثل : عدل عادل ، وصدق وصدق بالتشديد ، أو تقصير الصوت ، مثل : حاذر وحـذر .

وهناك مروفيم ترتيبى : بمعنى أن تقدم مالابد من تقديمه ليدل على المعنى ، فاذا عكست تبدل المعنى . واللغة العربية لم تعرف ذلك المورفيم الترتيبى الا نادرا ، لأن الحركات الاعرابية تعصم من الخطأ عند تبـدل الكلمات اللهم الا اذا خيف اللبس ، فتلزم الكلمة مكانها ، كما فى : ضرب موسى عيسى وكان الفاعل هو موسى . بخلاف بعض اللغات الأجنبية ، فلو قدمت الفعل مثلا — فى الانجليزية ، كانت الجملة استفهاما .

وقد عرف العرب (المورفيم) ، ودرسوه ، ومن يراجع كتاب (المغنى) يجد الدقة والاحاطة والقطع والافتراض ، ، لكن بقيت للموضوع جوانب عديدة تستدعى الدرس .

تلك لمحة عن التركيب البنيوى للكلام ، و (المورفيم) احد عناصره .

* * *

---

(١) اللغة لفندريس ص ١٠٥

الفونـــيم (PHONEME)

علماء اللغة يطلقون (الفونيم) على الأصوات اللغوية ، المفردة المميزة . فهم يعنون (بالفونيمات) مجموعة الوحدات الصوتية التى تشكل النظام الصوتى للغة .

وهذه الأصوات المفردة المميزة ، هى ما يقصد من حروف الأبجدية أن تدل عليها ، مع ملاحظة أنها ـــ فى الواقع ـــ أكثر عددا من تلك الحروف كما انه لا معنى لأى منها ـــ الحروف ـــ بحد ذاتها ، اذ لو كانت كل منها تدل على معنى مورفيم معين ، لاحتجنا الى استعمال عدد من الأصوات المفردة بعدد (المورفيمات) . أو المفردات التى نحتاجها فى حياتنا ، وهى تعد بالآلاف اذا حصرنا كلامنا بلغة الحديث العادية فقط ، وهذا أمر يكاد يكون متعذرا ، ويجعل من اللغة نظاما . يبلغ تعقيده درجة تقف حائلا دون اتقانه (١) فتحايلت اللغات البشرية على هذه الصعوبة باختيار عدد محدود ، من تلك الأصوات المفردة المتميزة ، الا انها تركت لأهل اللغة حرية تركيب تلك الأصوات على شكل مفردات متميزة تعد بمئات الألوف فى كل لغة .

و (الفونيم) أو الوحدة الصوتية للغة ـــ كما ذكرنا ـــ تتمثل عادة بحروف الهجاء ، ولكنها ـــ عددا ـــ تربو على حروف الهجاء . ونمثل لذلك بفونيم : « ث » فى اللغة الأنجليزية ، فانه عنصر من عناصر اللغة ، كما فى (Thin) ونكن هذا « الفونيم » لا رمز له (أى لا حرف له) بل يرمزون اليه بحرفى (Th) (٢) كما أن علماء (الفونتيك) يقرران للفونيم الواحد اكثر من لفظ واحد : قد يكون له ثلاثة الفاظ أو أربعة : فان فونيم (أ) فى كلمة (Speak) هـــو غيره فى اللفـــظ فى كلمـــة (Park) . وقل مثل هذا فى فونيم(T) ،فانـــه فى (Sting) غيره فى (Teem) ، وأيضا الفونيم (A) فى (Father) وفى (Fat) وفى (Female) مختلف .

● وقد تدم كتاب : (فى علم اللغة العام) عن (نظرية الفونيم)دراسة

---

(١) أضواء . د . خرما ، ص ٨٢

(٢) نظريات فى اللغة ، لأنيس فريحة ص ٨ ، ٩

قيمة ، عالجت هذا الموضوع المتشعب الغامض بدقة ، نوجزها فى هذا المقام :

فالفونيم ، يقصد به (الوحدة الصوتية) على مستوى التشكيل أو التنظيم الادائى ، وقد تقوم هذه الوحدة على صوت واحد (Phone) ، وقد يدخل تحتها مجموعة من الأصوات أو الأعضاء ، التى يطلق عليها أيضا (All Phone) ومعناه : صوت آخر ، اشارة الى وجود هذا الصوت الآخر الى جانب غيره داخل الفونيم .

فالفونيم — اذن — مصطلح (فونولوجى) ، تدور حوله بحوث كثيرة وربما كان — أيضا — من أعقد ما واجه العلماء من مصطلحات ، عندما أرادوا تحديد مفهومه (كما يقول د . عبد الصبور شاهين) ، لاختلافه الأساس الذى تقوم عليه هذه الوحدة الصوتية : أهو اساس عضوى ؟ أم نطقى ؟ أم سمعى ؟ أم وظيفى ؟ أم نفسى ؟ أم أنه خليط من هذه أو تلك ؟ أو منها جميعا ؟

كل ذلك قال به العلماء ، حين اختلفوا فيما بينهم ، ودفع اختلافهم علماء آخرين الى انكار فكرة (الفونيم) ، بل وانكار أن يكون صحيحا القول بوجود مستوى للدراسة (الفونولوجية) الى جانب المستوى (الفوناتيكى)(١) .

أما انكار (الفونيم) كلية ، فالغاء سريع فج للمسألة برمتها لا نوافق عليه وأما اختلافهم فى التحديد للمفهوم فأمر شائع فى الأمور العلمية .

وينقل الكاتب ما يشير الى هذا الاختلاف ، عند تحديد المصطلح من معجم اللغة الفرنسية (لروبير Robert) ، فنجده مستخدما فى (علم الأصوات التقليدى) بمعنى أنه : « عنصر صوتى فى اللغة المنطوقة ، يقوم على أساس عضوى (هو تكوينه بواسطة أعضاء النطق) ، وعلى أساس سمعى . ويصنف علم الأصوات (الفونيمات) الى حركات وصوامت ، وأنصاف حركات ، أو أنصاف صوامت » .

أما فى علم الأصوات التشكيلى (الفونولوجيا) ، فان هذا العنصر نفسه معتبر وحدة متميزة للتعبير الصوتى (٢) .

---

(١) فى علم اللغة العام ص ١١٥

(٢) المصدر السابق ، نقلا عن معجم اللغة الفرنسية .

والعملية اللغوية بطبيعتها متشابكة ، ومتداخلة ، وكل عنصر من عناصرها يتداخل مع غيره ، لتعدد المواقف والاطراف فيها .

ويطوف بنا الكاتب على علماء اللغة ، رغبة فى تحديد المصطلح ، ورأيهم فيه فيحكى عن (دوسوسور) : أنه عالج مشكلة (الفونيم) ، بالتفرقة بين جانبين من جوانب النشاط ، يبدوان اثناء الكلام ، وهما :

الجانب العضوى ، والجانب السمعى (الاكوستيكى) . ويرى ربطها ببعضها منهج دراسى صحيح ، لأن التأثير الواقع على الأذن هو الأساس الطبيعى لكل نظرية .. هذا العنصر السمعى يوجد بصورة لا شعورية عندما نبدأ فى النظر الى الوحدات الفونولوجية : ذلك اننا بواسطة الأذن نعرف ما يكون صوت (B) أو (T) مثلا . ولو اننا استطعنا ان نسجل (فيلما سينمائيا) لجميع حركات الفم والحلق ، فى اثناء نطق سلسلة من الأصوات ، فربما كان من المستحيل ان نكشف عن الانقسامات فى هذا التتابع من الحركات المنطوقة ، فلا نعرف متى يبدأ صوت معين ، ولا أين ينهى (١)

فالاعتماد على التأثير السمعى يمكننا من معرفة الوحدات الصوتية ، والتميز بين بعضها وبعض : « ذلك أننا فى سلسلة الكلام المسموع يمكننا أن ندرك مباشرة : ان كان صوت معين مازال ممثلا لصفاته أم لا . فما دام لدينا احساس ببعض التوافق ، فان هذا الصوت واحد » .

ويضرب الكاتب صوتا من العربية يوضح كلا « دوسوسور » : فالكلمة : (شعر) مكونة — من حيث الكتابة — من ثلاثة رموز ، ولكنها — من حيث النطق — ستة اصوات : أولها (الشين) ، وهو يتميز باحتكاك فى المنطقة الأمامية من الفم ، فما دام هذا الاحتكاك مستمرا ، فان صوت الشين يظل فى حالة تولد سمعى ، حتى اذا ما انتهى الاحتكاك ، فاننا نحكم بأن الشين قد انتهت ، ليبدأ من بعدها اصدار صوت الفتحة . وهكذا فى الصوت الثالث (العين) ، وهو عبارة عن احتكاك فى منطقة الحلق مع تذبذب فى الأوتار الصوتية ، يليه صوت الفتحة ثم الصوت الخامس (الراء) ، ثم الفتحة .

كما يذكر « دوسوسور » : أن الأصوات المتتابعة مقسمة بالزمن ،

---

(١) المصدر السابق ص ١١٧

ولكنه ليس زمنا موسيقيا محدد الكمية ، متساوى الوحدات ، بل هو زمن توافقى متميز بوحدة التأثير : « فتحديد الأصوات فى السلسلة المنطوقة لابد — اذن — أن يعتمد على التأثير السمعى ، ولكن وصفها لابد ان يعتمد على الحدث النطقى ، لأن الوحدات السمعية فى سلسلتها الخاصة غير قابلة للتحليل ، فيجب أن تلجأ الى سلسلة حركات التصويت — وسنلاحظ — حينئذ — أن الصوت الواحد يقابلة حدث واحد خاص به :

فصوت (B) زمن سمعى = صوت (B) زمن نطقى .

والوحدات الأولى التى نحصل عليها عند تقسيم السلسلة المنطوقة سوف تكون مركبة من (B ، و B) وهى التى نطلق عليها : (فونيم Phoneme)

واخيرا يصل « دوسوسور » الى تعريف « الفونيم » على انه : « مجموع التأثيرات السمعية ، والحركات النطقية ، للوحدات المسموعة ، والوحدات المنطوقة ، كل منهما بشرط الآخر » (١) .

فهو عنده مركب من اعتبار الجانب السمعى والعضوى ، وكل منهما شرط حدوث الآخر ، ولكل وحدة صوتية (فونيم) زمن تستغرقه ، لا يمكن تصورها بدونه ، فاذا نطقنا مثلا : (TA) فهو مجموع زمنين متواليين ، أو هو : امتداد زمنى معين (T) وامتداد آخر هو (A).

وهذه اسس موضوعية يمكن لمحها فى السلسلة الكلامية المنطوقة .

● **الفونيم** عند نيقولاس سيراجيفيتش تروبتسكوى (N.S. Trivbetzko) (١٨٩٠ — ١٩٣٨)

وضع (تروبتسكوى) للفونيم تعريفا مختصرا ، هو : « أصغر وحدة فونولوجية فى اللسان المدروس » .

وهذا التعريف يوافق تعريف (بلومفيلد Bloomfield) للفونيم بأنه أصغر وحدة متميزة « . وتعريف (بهلر) للفونين ، بأنه : (علامة صوتية فى جسد الكلمة » .

واساس التعريف عند (تروبتسكوى) أن كل لغة تفترض وجود متغايرات فونولوجية متمايزة ، و (الفونيم) مصطلح يطلق على هذه

---

(١) فى علم اللغة العام ص ١١٨ ، ١١٩ .

المتغايرات التى لا تقبل الانقسام الى وحدات فونولوجية متميزة ، اكثر صغرا » .

وهو متفق مع (دوسوسور) على تحديد الجانب العضوى والسمعى فى وصف الفونيم .

وقدم لتعريفه : بأن مجموعها غير قابلة للتجزئة او التحليل الى وحدات فونولوجية أصغر من هذه الوحدة .

فليست الفونيمات كالقطع من الأحجار ، تتكون منها الكلمات المختلفة. وانما الكلمة عنده كشبح ، يحتوى على شىء اكبر من مجموع حروفها أو فونيماتها ، وهو الوحدة التى تضم تتابع هذا التجمع ، وتميز الكلمة وتمنحها فرديتها ، مع أن هذه الوحدة ليست مستقرة فى جسمها .

ويمكن تحليل جسد الكلمة الى فونيمات ، كما يمكن تحليل اى لحن مكون من مجموعة نغمات السلم الموسيقى الى « النوت » التى يتألف منها السلم ، مع أن اللحن يحتوى زيادة على (النوت) شيئا يمنحه شبحه الموسيقى الخاص .

وضرب (تروبتسكوى) مثلا بفونيم (الباء) ، ووصف العمليات التى تتم عضويا ، حتى يمكن نطقها ، والأثر السمعى المحدد ، والقدر الزمنى . وكل هذا يعتبر وحدة (فونولجية) واحدة ، غير قابلة للتحليل الزمنى ، أو التفرقة والتجزئة .

ووظيفة (الفونيم) : تمييز كلمة عن أخرى اذن .

وهى على هذا النحو توشك أن تجعل من الفونيم وحدة تجريدية ، تتحقق ببعض خصائصها فى الصورة الصوتية المختلفة ، حين قال : « ان الأصوات المحسوسة التى تبرز فى اللغة ليست سوى رموزماديةللفونيمات . . وليست هذه الأصوات هى الفونيمات فى ذاتها » (١) .

والتمييز والتنظيم الذى جعله « تروبتسكوى » للكلمة من الفونيم يمكن تطبيقه على اللغة العربية ، كما فى هذه الأمثلة :

---

(١) فى علم اللغة العام ص ١٢١ — ١٢٧ بتصرف .

اذا حل حرف محل آخر ، دون تغيير فى المعنى ، كالسين والصاد (والصاد أصلها سين) فى كلمة ، مثل (مسيطر) ، فالصوتان صورتان لفونيم واحد .

وان ترتب عليه اختلاف معنى ، مثل (سار ، صار) فهما صوتان لفونيمين مختلفين .

واذا تقارب الصوتان من نفس اللغة فى الناحية السمعية أو النطقية ، ولا يبرزان مطلقا فى نفس الاطار الصوتى ، فانهما صورتان تركيبيتان لنفس الفونيم ويطلق عليهما الدكتور تمام حسان مصطلح التخارج بين أعضاء الفونيم مثل (النون) فهى نونات مختلفة التخارج من حيث الموقع :

فهى : أسنانية ان سكنت قبل صوت الثاء ولهوية ان سكنت قبل القاف وغير ذلك اذا سكنت قبل الباء ... الخ . وهذا خاص بلغة معينة ، فلا يمكن أن ينطبق على لغة أخرى ، كما نقل عن (دانيال جونز) قوله : « ان الفونيم فى لغة ما عائلة من الأصوات متقاربة فى خصائصها ، تستعمل بطريقة لا تسمح بأن يستعمل أحدها فى نفس البيئة الصوتية ، التى يستعمل فيها الآخر أبدا (١) .

● وبعضهم يعتبر (الفونيم) فكرة تقوم فى الذهن ، على اساس عقلى تجريدى والمتكلم يستحضرها فى عقله ، ويحاول نطقها ، بالسليقة والتدريب:

يقول (بوندوان Bonduin) عن الفونيم : « انه المعادل النفسى للصوت اللغوى » .

ويقول (فان ويك Van Wyk) : « فونيمات لغة ما تشكل طائفة من العناصر اللغوية التى توجه ذهن جميع أعضاء الجماعة اللغوية » .

ويقول أيضا : « ان الفونيمات هى أصغر الوحدات التى يشعر الوعى اللغوى بانها غير قابلة للانقسام » . وهو بهذا يتفق مع (تروبتسكوى) .

ويرى ادوارد سابير : « انها أصوات مثالية ، يكون بها احساس المرء بالعلاقات المقصودة بين الأصوات الموضوعة اكثر تحققا فى نظر المتكلم الفطرى ، من الأصوات الموضوعة نفسها » .. ويؤيد بأن

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ، د . حسان ص ١٢٨ — ١٣١ بتصرف .

« السيكولوجية المركبة للعلاقة والنمط واضحة فى نطاق أبسط ضـــامت وحركة » (١) .

ويقول (ماريو باى) عن الفونيمات : « انها الأصوات ، أو المجموعات الصوتية المتقاربة ، التى يدرك علاقتها شعور الجماعة التى تتكلم لغـــة معينة ، والاختيار الموضوعى للفونيمات هو (المغايرة) ، أو الاختلاف فى المعنى ، الذى يظهر أو لا يظهر عندما يحل صوت محل آخر ، مع بقـــاء سائر حروف الكلمة كما هى » ويقول أيضا : « ان وظيفة هذا العلم (الفونيمات) هو وصف اصوات لغة معينة ، وتصنيفها على اساس من احساس المتكلمين باللغـــة » .

فالتفسير لكل ما سبق يعطى تفسيرا نفسيا وعقليا ــ شعور الجماعة واحساسهم ــ بجانب ما اعطاه تفسير « تروبتسكوى » .

و « تروبتسكوى » يرفض فكرة التفسير النفسى والذهنى ، وينقضها بقوله : « ان العلاقة بين الصوت والفونيم ذات صبغة لغوية ، يتدخل فيها اى عامل نفسى آخر ، ونحن نستدل على خصائص الصوت الوظيفيـــة بخصائص الفونيم ، لا العكس لأن الفونيم فكرة لغوية وليس فكرة نفسية ، وتعريفه لا يتحقق بواسطة المفاهيم النفسية .

والواقع أن التفسير النفسى والعقلى والذهنى ، يجب أن ينحى : فقد كانت اللغة قبل أن يكون شيء من ذلك . وان أصبحت حاملة الفكر والمعبرة عنه بعد أن ارتقى الانسان ــ ونحن بصدد تعريف عنصر لغوى »

● ويرى (دانيال جونز) : أن الفونيم مقصور على مجموعة أصوات متقاربة ، محكومة بسياق صوتى . يقول : « انه عائلة او مجموعة من اصوات اللغة المتقاربة سماعا ونطقا ، والتى لا تظهر مطلقا فى نفس الاطار الصوتى ».

فالأصوات المفردة ليست (فونيمات) عنده ما دامت تنطق بصـــورة واحدة دائما ويربط (الفونيم) بمشكلة الكتابة الصوتية .

ويرى الدكتور شاهين : أن نقطة ضعف اعترت تصوره هذا لقصره الفونيم على مجموعة الأصوات المتقاربة ، والمحكومة بالسياق الصوتى .

---

(١) أسس علم اللغة . د السعران ، ص ٤٨ ــ ٥٠

وقد لجأ (جونز) الى نظرية الأصوات المجردة ، وفيها يعتمد على السمات المشتركة التى يسفر عنهـا اداء الأصوات عدة مرات ـ رغـم الاختلاف فى كل مرة ـ وبذلك تنشأ الفونيمات على أساس من التجريـد للعائلة الصوتية ، وبذلك يقع (جونز) فى خطأ هو أنه يعرف الفونيـم بعلاقاته بالصور الصوتية . وتلك هى الدائرة المفزعة التى أشار اليهـا « تروبنسكى » من قبل ، حين ارتضى عكسها ، الذى يعرف الصورة الصوتية بعلاقتها بالفونيم .

● ويتصور « فريمان توادیل » Freeman Twaddill الفونيم ، بأنه يدل على النسبية والتغاير ، ويمكن فهم فكرته بتلخيص نظريته ، على النحو التالى (١) :

« ان التعبير (اى الحدث الكلامى المحسوس) هو ظاهرة مادية ، (اى : صوت) مرتبط بمدلول محدد ، والتركيب الصوتى الذى يتكرر فى تعبيرات مختلفة ، وله دائما نفس المعنى .. يسمى : صـيغة (Forme) واى صيغتين يختلف مدلولهما ـ من حيث المبدأ ـ مختلفتان أيضا من الناحية الصوتية (باستثناء الجناس النادر نسبيا فى جميع اللغات) .

ودرجة التنوع الصوتى بين هاتين الصيغتين المتميزتين يمكن أن تختلف . والحد الأدنى من الاختلاف الصوتى بين صيغتين غير متماثلتين يتطابق مع اجزاء التركيب الصوتى المدروس ، ومن مجموعة الصيغ التى يتميز بعضها عن بعض فى الحـد الأدنى تتكـون المجـموعة المصنفة (Class) ، هـذه المجموعة تتميز بالتركيب الصوتى المشترك بين مجموعة أعضائها . واذا كان الحد الأدنى من الاختلاف ينصب تأثيره فى جميع أعضاء المجموعة على نفس الجزء (فى بدء الكلمة او فى نهايتها مثلا) فان معنى ذلك أن هذه المجموعة منظمة .

(وضرب مثلا لتوضيح ذلك بمجموعة المانية ، قابلها الدكتور عبدالصبور : بمجموعة عربية ، لتقريب المفهوم موضوع التمثيل ، على النحو التالى) :

المجموعة الألمانية :

Lahm = كسيح ـ Kam = جاء ـ Rahim = قشدة

Nahm = أخذ

---

١ ـ فى علم اللغة العام ، ص ١٢٨ ـ ١٣٨ بتصرف

والمجموعة العربية : حام ، دام ، رام ، سام ، شام ، صام ، عام

فالعلاقات بين اعضاء مجموعة كهذه هى الحد الأدنى من التعارضات (الفونولوجية) ويطلق (فريمان نواديل) على هذه التعارضات مصطلح : (ميكروفونيم Microphoneme) او الفونيم المصغر .

فالفونيمات المصغرة فى المجموعة الالمانية هى الأصوات (N.L.K.R. وفى المجموعة العربية هى (ح . د ، ر ، س ، ش ، ص ، ع) . وهى جميعا تتأثر بوجود (AM) فى المجموعة الالمانية ، على حين يتنوع تأثير الفونيمات المصغرة فى (ام) فى المجموعة العربية .

والمقابل الصوتى للفونيم المصغر يحتوى كثيرا على السمات النطقية ، فلدينا مجموعتان شكليتان منسقتان على هذا النحو ، اذا ما كانت العلاقات بين (فونيماتهما) المصغرة متماثلة ، كما فى المجموعتين الانجليزيتين :

Pill — Till — Kill — Hill

Nap — Gnat — Knack — Nab

فهما متقابلتان : لأنه حتى ولو لم تكن الطبيعة الصوتية لفونيماتهما المصغرة من نفس النوع فى الحالتين ، لأن (P.T.K. تنفسية فى البداية ، وغير نفسية فى النهاية) . ومع ذلك فان العلاقات بين هذه الفونيمات المصغرة التى تحتل نفس المكان ، فى مختلف المجموعات الشكلية المنسوقة على هذا النحو ، تكون (ماكروفونيم Macrophoneme) أوفونيما مكبرا .

وواضح من تقابل المجموعتين الفرق بين الفونيم المصغر والمكبر : ان المصغر قليلا ما يتعرض للتغيرات الصوتية مع اختلاف المواقع . على حين أن المكبر يتميز بقدر كبير من قابلية التغير فى المواقع المختلفة .

وبذلك التقى (تواديل) مع (تروبتسكى) فى اعتماد فكرة التعارض المرتبطة بالجانب الوظيفى للفونيم . وانه الغى الاحكام (السيكولوجية) المسبقة التى تكونت حول الفونيم ..

وأخيرا : فان الصورة التى نميل الى الأخذ بها — هى ما ارتآها الدكتور — عبد الصبور شاهين (١) . وهى ان فلزة (الفونيم) وسيلة الى

---

(١) فى علم اللغة العام ص ١٣٨ .

تصنيف الأصوات اللغوية فى مستواها السياقى . وهى أيضا وسيلة الى تحليل الصيغ اللغوية على أساس من الأصوات ووظائفها الدلالية . وهو تحليل لا ينبغى أن يتجاهل اصطلاح أصحاب اللسان ، الى جانب اعتماده على العناصر العضوية والنطقية فى تحديد الفونيم .

والى هنا ننهى هذا القدر من الحديث عن جانب الأصوات فى اللغة ، على أمل أن تكون فكرتها قد اتضحت ، حتى يحين الحديث عنها باسهاب فى موضعها باذن الله .

وقد اعتمدنا كثيرا على كتاب الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين فى دراسة الفونيمات ، لأنه تناولها بالتفصيل لأول مرة على نحو واف شاف واستقصى أهم الآراء التى قيلت فى هذا الموضوع (الفونولوجى) ، مع محاولة التطبيق على العربية .

* * *